أما أنا، فسأنتهي غريبةً في بلد غريب، حتى لو شاء القدر أن يكون ذلك في فلسطين. فبالرغم من قميصي، فأنا غريبة عنها، وغريبةٌ هي عني. لن تَعْرفني. ستَرْفضني، مثلما يَرْفض الجسمُ أعضاءَ غريبةً زُرعتْ أثناء عملية جراحية.

سألوِّث تربَتها.

سأدفنَكَ قبل أن أُدفَنَ، يا دفتري. سأكفِّنك أنتَ بما تبقّى من قميصي الذي كنتُ أنكمش بداخله، والآن ينكمش هو بداخلي. سأدفنك تحت أول شجرة زيتون أقابلها في طريقي. ما كتبتُ فيك إلا وأنا حزينةٌ، وقد كتبتُ فيك كثيرًا. أنت الحائطُ الذي مارستُ عليه حريةَ الكتابة، وحريتي لم تكن سوى مساحة تلك الصفحات.

أنت لا تَعْرف عني سوى ما عَكَّرتُ به صفوَ بياضِك؛ فقد حفرتُ بك ـ بفأسِ حروفي ـ بئرًا لآلامي. احتويتَ خوائي، بل إنّك كنتَ تنتظر لقاءنا كلَّ غروبِ شمس. لقد أفرغتُ نفسي فيكَ، يا دفتري، فأين يذهب الآن فراغي؟ لم يبقَ مني سوى أحرفٍ تبلّل قدمي. أنحني لأجفِّفَها، دون جدوى. أحرفي كثيرة، وقميصي لم يعد يحتمل، لكثرةِ ما رقَّعتُه، ورقّعته.

كم خشيتُ نهايتي هذه منذ البداية! كم خشيتُ ألاّ أجد سوى الرّقع عندما أكبر!

كبرتُ، يا دفتري، ولم يكْبر قميصي. ومهما غسلتُه، فإنّه لن يعود أبدًا ناصعَ البياض. أرتديه، فأبرد. أَبْرد، يا دفتري، أبرد ولا أتخلّى عنه.

كلُّ الموانئ عرفتْني، نعم، وكلُّ مطار، وما زلتُ هناك أنا، أكتب في غرفة الانتظار.

دبي

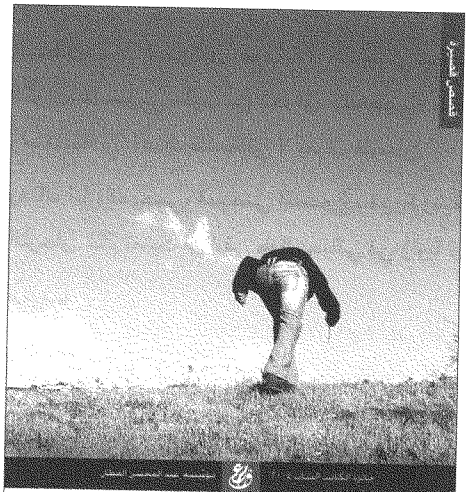

صحافي وقاص فلسطيني، من مواليد مدينة جنين العام ١٩٧٩. يكتب القصة القصيرة والمقالات السياسية والأدبية. يقيم حالياً في القاهرة بغرض استكمال دراسته العليا في مجال الدراسات الإعلامية. ينشر قصصه في الجرائد والمجلات الأدبية المحلية والعربية.

مُنحت جائزة القصة القصيرة في مسابقة الكاتب الشابّ للعام ٢٠٠٤ التي ينظِّمها برنامجُ الثقافة والعلوم في مؤسسة عبد المحسن القطان إلى سعيد أبو معلا عن مجموعته «هههههه عبور»؛ وذلك لأنّ «كتابته متمكنة، وسرده متماسك، واستطراداته ذكية. كما أنه يتميز بطواعية الانتقال من شكلٍ كتابيّ إلى آخر، وأفكاره الكتابية تنمّ عن إحساس فعليّ ودراية بهذا الإحساس. بالإضافة إلى أنها تنجح بشكل كبير في صنع عوالمها الخاصة، ورسمِ معالمَ مكانيةٍ شديدةِ الوضوح».